ودیع خندة

مراقيب

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5993) السنة الثالثة والعشرون
الخميس (25)أيلول 2025

وديع خندة ومائدة نزهت: تألق الطبقة المتوسطة العراقية وخفوتها

علي عبد الامير عجام

ليس عسيرا التمييز بين ملمحين في اغنيات المطربة مائدة نزهت، الاول وهو العاطفي الانيق المهذب، والثاني هو "الوطني" الدعائي الفج، مثلما يمكن ملاحظة ملمحين آخرين: الجانب المديني المفتوح بتلقائية وهو يشبه خمسينيات العراق من القرن الماضي، والجانب الفوضوي حيث اختلاط البيئات و الأنساق الثقافية بطريقة فجة ومبتذلة، تحت اسر الاعلانات "الثورية والوطنية" التي ميزت ستينيات القرن وسبعينياته، وهي في نتاجها الفني وحتى مسار حياتها الشخصي، انما تصوغ ليس صورة عن فتيات الطبقة المتوسطة العراقية (المتعلمات) وحسب، بل تصوغ مسار تلك الطبقة في صعودها الثقافي والاجتماعي وانحطاطها لاحقا. ومع مراجعة اولية، لأغنياتها، نجد ملامح الجرأة والثقة في البوح بمشاعر الحب، ولكن في إهاب من التهذيب والرقة، وهذا جزء طبيعي من المسار المنفتح للطبقة المتوسطة، مع بداية تشكلها كمؤثر اجتماعي متزامن مع صعود قيم الحداثة التي كانت تقدمها الدولة قبل ان تحطمها الانقلابات العسكرية، بمقابل قيم التخلف التي تضخها منظومتا الدين والعشائرية.

ومع اختطاف الدولة من قبل المغامرين الثوريين والعسكريين، تراجعت القيم الثقافية الطبيعية ومنها، اشكال التعبير بالغناء الراقي عن مشاعر الحب، فمن اغنية "ام الفستان الاحمر" الى "حياك يا ابو حلا"، ومن رهافة "يا حلو يا صغير يا مدلل" الى "عراق التأميم"، وهي بهذا تجسد جناية الانقلابات العسكرية والافكار "الثورية" الشكل والهجية الفحوى، لا على الدولة وحسب، بل على الطبقة المتوسطة حارسة قيم الحداثة في المجتمع ومحركها الوحيد، فتجعلها اسيرة السياسة الحكومية والحزبية الضيقة وعبدا ذليلا لثقافتها.

يقول الملحن والمطرب عباس جميل(١) "قمت بتلحين اول اغنية لمائدة نزهت، قبل ان تغني للإذاعة، وهي "جاني من حسن مكتوب" ضمن فيلم "دكتور حسن"، بعدها غنت من الحاني "يا كاتم الاسرار"، واغنية "البصرة" التي كتبت كلماتها من اتخذ اسما مستعارا هو "فتاة دجلة"، واغنية "يللي تريدون الهوى" التي كتبها اسماعيل الخطيب، واغنية "يا اسمر" التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا، واغنية "قد يوم" كلمات طالب القيسي، واغنية "قالوا حلو" التي كتبها ابراهيم احمد، واغنية "اسال قلب اللي يهواك" لناصر التميمي.

هذا المسار "العاطفي" القائم على مزاوجة بين إلحان بسيطة ووجدان طافح بالاشواق والآمال، انتقل الى مرحلة تركيبية تمثلت باقتران نزهت مع الملحن وديع خندة، فثمة من يرى ان "الالحان التي اعطاها الفنان خندة لنزهت قبل زواجه وبعده، شكلت انعطافا جديدا في مسار الاغنية الحديثة في بنائها اللحني من حيث تنوع "الكوبليهات" مع المذهب، وكانت مائدة نزهت سيدة الموقف في حصيلة النتائج التي استطاعت ان تعبر عن مشاعر الملحن والكاتب معا"، ومن الإندراج في المرحلة الجديدة، او الانزواء، وهو ما يعرضهم لاسئلة السلطات التي بدت تكشر عن انيابها، مما اضطرهم الى مغادرة البلاد، فسافرت مائدة نزهت مع زوجها وديع خندة عام ١٩٦٢ الى بيروت، وفي هذه الفترة من اقامتهم في بيروت لحن لها زوجها اغنية «يا خوية ويا احلى خي»، و«لو ما الهوى يا اهل الهوى» التي كتبها سبتي طاهر ولحنها الملحن اللبناني عفيف رضوان الذي سيلحن لها ايضا «كاعد على دربكم.»

وبعد نحو عام عاد الثنائي: "نزهت- خندة" الى البلاد، التي ستشهد وتحديدا في شباط ١٩٦٣، انقلابا دمويا رهيبا استهدف كثيرا من خبرات البلاد المعرفية والفكرية، ثم انقلابا على الانقلاب وذلك في ١٨ تشرين الثاني من العام الاقسى ذاته، وهو ما اضطرهما للعودة الى بيروت ثانية حيث ساعدهما الموسيقي الفلسطيني الاصل حليم الرومي (والد المطربة الشهيرة لاحقا ماجدة الرومي) اذ كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية، وقد لحن لصوت نزهت، بعض الملحنين العرب منهم حسن غندور وعفيف رضوان وخالد ابو النصر وسعدون الراشد، وكذلك غنت للكويتيين عوض دوخي وحميد الرجب بعد ان سافرت الى الكويت لفترة.

ومع عودة الثنائي الى العراق ما بعد انقلاب البعث الثاني في عام ١٩٦٨، بدأت مائدة نزهت في توديع حال الاشراقة البغدادية الرقيقة شعرا وموسيقى واداء، لصالح "اغنيات وطنية" مباشرة تناسب المرحلة السياسية، فكانت اغنيات وانا‌شيد "قفوا هنا" التي كتبها عبد السلام ابراهيم ولحنها وديع خندة الذي لحّن ايضا قصيدة "حبيبتي بغداد" للشاعر شفيق الكمالي، واغنية "عراق التأميم" التي كتبها ناظم السماوي ولحّنها ياسين الشيخلي، و"شمس بغداد" التي لحّنها محمد سلمان.

ان رقة بغدادية وانسجام وجداني شفاف كما في اغنيتي "يا قلبي لا تكول التوبة" و"حبي وحبك" اللتين لحّنهما الراحل محمد نوشي، وعشرات وفق منوالهما، كنا اشرنا اليها اعلاه، تحولت لاحقا الى عسر لا في الاداء وحسب، بل فوضاه وليس تنوعه، فلا اغنية محددة الملامح والشكل، بل ثمة النفيس الراقي كما في اغنية "سألت عنك" التي كتبها عبد الكريم مكي ولحّنها فاروق هلال، باقتدار موسيقي عال، الى جانب خليط عسير من الالوان الغنائية، فمن الحان رضا علي، اغنية "حمد يا حمود" التي كتبها خزعل مهدي، واغنية "لا تعتذر" التي لحنها سالم حسين، و"دور بينا يا عشك" التي صاغها شعرا زهير الدجيلي ولحنها ياسين الراوي الذي قدم لها اغنية مشرقة اخرى هي "حلوين"، واغنية "لا يا هوى" بلحن طالب القرغولي، و"الحاصودة" التي لحنها كوكب حمزة، وصولا الى مرحلة اداء المقام العراقي، لتكسر بذلك احتكارا رجاليا لغناء هذا الشكل الموسيقي الذي يتطلب مهارات في الصوت وفنون الاداء.

ويرى الناقد الموسيقي الراحل، عبد الوهاب الشيخلي، ان "السيدة مائدة نزهت، كانت قد وجهت اهتمامها بهدوء ورصانة الى نظرة مغايرة سواء الى الحياة او الفن. وقد كانت منذ بداياتها الفنية اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينيات قد شرعت بالكشف عن حالة حضارية في فنها، حيث عبرت في غنائها عن روح المدينة، وكرست نعيم، واغاني اخرى مثل اغنية "يكولولي توب واني شلون اتوب" لمحمد حسن الكرخي، و"يا بوية اشتريني" لحميد النجار و"انتظار" لعباس العزاوي التي لحنها جميعا رضا علي، وهناك ايضا اغنية "ظلم يكولون" و"يا حلوة عجايب" من كلمات هلال عاصم والحان علاء كامل.

هذه الاغاني مثلا اغنية "يم الفستان الاحمر" التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا، واغنية "احبك لا" التي كتبها اسماعيل الخطيب، واغنية "تجوتة لو نجيكم" من كلمات رشيد حميد، واغنية "تاليها وياك" التي كتبتها امل سامي، واغنية "نسمات رومبا" و"سامبا بغداد" التي كتبها حسن نعمة العبيدي، واغنية "وينك" التي كتبها وديع خندة نفسه.»

وثمة مرحلة اخرى من التجديد الادائي، عرفتها مائدة نزهت، من خلال ألحان صاغتها اسماء شكلت علامات فارقة في "الاغنية البغدادية" بخاصة والعراقية بعامة، مثل اغنية: "يا حلو يا صغير يا مدلل" التي كتب كلماتها خزعل مهدي، "ياهوانا" التي كتبها غازي جميل، "يمسيرين البلم" التي كتبها حسن ترجمان، "محتارين" لداود الفنام، و"محبوبنا الغايب" لجبوري النجار، واغنية "لا تبجين يا عين" لعبد الستار القباني التي لحنها جميعا ناظم

خفوت الاشراقة البغدادية

ومع تحول العراق ما بعد تموز ١٩٥٨، من «الفرح الجماعي» بإسقاط النظام الملكي، الى مرحلة التنكيل والمحاكمات ومحاولات الاغتيال بين الحكام الجدد وامتداداتهم الحزبية والشعبوية، بدت مساحة التعبير الغني المستقل وقد ضاقت قليلا وسط اجواء الاحتراب والتنكيل السياسي وتوجيه النتاجات الثقافية الشعبية، كالغناء لأجل ذلك كل وعيها وادراكها ... لقد كانت مائدة نزهت حلقة حية في سلسلة الغناء البغدادي في اغانيها الحديثة والملحّنة وكذلك في المقامات العراقية التي ادت مجموعة منها منذ اواخر السبعينيات وحتى اعتزالها الفن بشكل نهائي، هذه المقامات التي كان رعاتها المؤدون الكبار في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ومن حيث انها بدأت مطربة للاغاني الحديثة، فقد اكدت تفاعلها مع المجتمع من خلال صوتها الجميل والمتمكن والسليم من العيوب وتعابيرها البغدادية الاصيلة، وبذلك فقد اوجدت وثبتت لها طريقاً واسلوباً ادائيا فنياً بزت فيه كل المطربات العراقيات في القرن العشرين.»

ويضيف في قراءة الدور الاجتماعي لأغنيات السيدة نزهت "انني ارى ان مائدة نزهت في هذه الاغاني وغيرها ومقاماتها ايضاً بعدئذ، تبدو وكأنها وصلت فعلاً الى النقطة التي امتزجت فيها مع المجتمع وجمهورها المتلقي بأوسع معانيها وأقواها ... انها ابنة هذا المجتمع وبالتالي فهي المعبرة عنه بإخلاص وصدق ... واكثر من هذا فان الانعكاسات التعبيرية الادائية لدى مائدة نزهت ونوع صدقها في هذه التعابير التي عكست الخصوصية البغدادية خاصة والعراقية عامة، لا يسعنا الا ان نجدها سابقة لأوانها الى حد مذهل اذا ما اخذنا بالاعتبار موقفها الاخلاقي من انتمائها لعراقيتها وبغداديتها واخيراً محليتها البيئية ... واذا تنحينا جانباً عن هذه الحقائق التي تبين لنا السيدة مائدة نزهت أنها شاهدة لواقعها وبيئتها وخصوصيتها العراقية على نحو لا يعترف بها دوما ... فأننا نجد نزعتها التعبيرية هذه في ادائها للأغنية الحديثة كانت قبل كل شيء موقفاً اخلاقياً مهذباً فقد كانت تصر على اقصى درجة ممكنه من عكس الثقافة العراقية وشموخ الفن الغناسيقي العراقي.»

مطربة اغنية حديثة قبل كل شيء

انها "مطربة اغنية حديثة قبل كل شيء"، ويبدو هذا التوصيف مهما واساسيا قبل الدخول الى تجربة السيدة مائدة في غناء المقام العراقي، فما ان حل العقد السبعيني من القرن العشرين، حتى قدر لمجموعة من الفنانين المختارين من قبل الفنان الراحل منير بشير ان يكوّن منهم "فرقة التراث الموسيقي العراقي"، التي عنت بتقديم الوان من الغناء التقليدي صحبة الآت الموسيقى الاصيلة: العود، القانون، الناي، الجوزة والسنطور، فكانت السيدة نزهت من بين اعضاء الفرقة، متخصصة بغناء المواويل والليالي بالأسلوب الرصين، ثم انتقلت الى اداء المقام العراقي، لتنجح في ما بدا اختبارا صعبا، ويبدو سر هذا النجاح عائدا الى كونها قد تحصلت على خبرات كبيرة في اداء اشكال غنائية مست حالات شعورية عدة، ونضج صوتها في اداء الحان وضعها ابرز مبدعي الموسيقى العراقية المعاصرة.

وعن مشوارها مع "المقام العراقي" يقول الناقد الشيخلي "مائدة نزهت تكون قد عبرت في هذه المقامات بأسلوب أدائي مغاير لجميع المؤديات والمؤدين المعاصرين لها، واستطاعت ان توصل صوتها في هذه المقامات الى العالم اجمع، فكانت مقامات زاخرة بالحيوية الدرامية والتعابير الجذابة التي تذكرنا دائما وفي مناسبات عديدة بالمعنى الفني والجمالي والتقني لمقاييس الاداء الدقيق التي اسبغت عليه تفسيراً اقرب الى العبقرية في التعبير والجمال والذوق وسحر الخيال العاطفي.

احتجاب الصوت وحجاب صاحبته؟

مع قرار اعتزال السيدة نزهت الغناء منتصف الثمانينات، تكون ساحة الغناء العراقي قد خلت من صوت طليق، ومن حساسية رقيقة في الإداء، واصبح اعتزال مائدة نزهت وصوتها «السويرانو»، بـ«جوابات وقرارات متكاملة»، مادة للأقاويل والشائعات، فمنهم من قال انها «نية مبيتة، وان اعتزالها وهي في ذروة نضوجها ونجاحها امر مدبر ومخطط له لتبقى هي فوق القمة، فهي اختفت والساحة خالية من الأصوات النسائية المتمكنة، وتركت وراءها فراغا لم يمتلئ حتى الان، وهناك من قال انها اعتزلت خوفا من تأثير تقدمها في السن، وقالوا انها تحجبت وتعيش حالة من التصوف.»

وبعد اكثر من عقد على قرار اعتزالها كانت المطربة مائدة نزهت، كانت صاحبة "كل ما امرّ عالدرب"، تعيش بعمّان في عزلة تامة مع وزوجها ووديع خندة الذي قبل انه تحول الى مؤذن قبيل وفاته ومعهما ابنتها، وكانت قصدت "بيت الله الحرام" للحج، وانقطعت الى العبادة وارتدت الحجاب، وهي تواصلا مع نهجها الجديد كانت قد طلبت من "الإذاعة والتلفزيون" في بغداد، سحب اشرطتها الغنائية الصوتية والمرئية، الا ان طلبها قوبل بالرفض، كون اعمالها باتت تمثل جزءا من الأرشيف الغنائي العراقي، وهي ليست ملكا شخصيا للمطربة.

ثمة من يرى ان "عامل الكبر في السن هو السبب الذي دفع نزهت الى الاعتزال"، فالغناء يحتاج الى طاقة جسدية ونفسية واجتماعية كما انها " أدت كل الالوان الغنائية العراقية، وقد تكون وصلت الى قناعة انها اعطت للغناء الشيء الكثير وهذا يبدو كافيا لها"، لاسيما انها "من مغنيات بغداد المتقدمات ولا يوجد صوت جديد يمكن ان يحل محلها او ان يديلا لها.»

لكن الامر ليس على هذا النحو وحسب، فالسيدة نزهت وفي لحظة صفاء ما ومراجعة مع النفس، لا بد وان تساءلت: ما الذي جعلني احتول من الغناء للمشاعر الانسانية الصافية، الى تمجيد "ابو حلا" والغناء لحربه وقذائفه وصواريخه وامجاده؟ أليس الصمت والاحتجاج افضل من هذا المآل؟

وقد تكون اكثر جرأة في السؤال: كيف تحولت من وسط فني خلاق يضم ابرز صناع النغم العراقي الجميل، وبيئة اجتماعية ترحب بأغنياتي العاطفية البغدادية الرقيقة، الى وسط ثقافي حكومي وحزبي يلبسني الملابس العسكرية ولا ينظر الى الفنانات الا وفق مستويين: التطبيل الدعائي للمعركة ومديح القائد، او بوصفهن "نساء قيد الطلب"؟

الغناء بوصفه عارا!

وبعيدا عن الاسئلة، لكن قريبا في مضمونها وجوهرها، فان السيدة مائدة نزهت، هي حقا ابنة الطبقة المتوسطة العراقية في صعودها، فقدم الغناء العاطفي الجميل، يوم كانت تنهض تلك الطبقة ببناء البلاد عبر المعرفة والتقاليد المهنية الجديدة، وفي جو صارت فيه التجربة العلمية والخبرات العملية اساسا اخلاقيا تراجعت معه قيم التخلف الديني والعشائري، وصار معه طبيعيا ان يبلغ عدد المغنيات اكثر من المغنين، وسط جو من صناعة الفنون بطريقة طبيعية قائمة على التنافس النوعي، وهو ما انتج الحانا وقدم اصواتا هذّبت المشاعر والنفوس. مثلما هي ابنة الطبقة المتوسطة العراقية في تخاذلها امام صعود قيم الحزبية والتنكيل السياسي ولاحقا عسكرة المجتمع، فكانت الفنون ومنها الغناء، امام مجال تعبير يضيق شيئا فشيئا، ولم يعد غريبا، كما بدأنا هذا الجزء، ان تنتقل صاحبة اغنية "ام الفستان الاحمر" الى اداء "حياك يا ابو حلا"، وصولا الى كونها ابنة هذه الطبقة وهي تترنح تحت قيم الدين المتبجح والعصبوية العشائرية في وقت تدخل فيه البلاد عصرها الاكثر ظلاما، لتتحجب وتعتبر سيرتها في الغناء "عارا" يجب التخلص منه.

سمير بغدادي.. فنان الجميع

فاطمة الظاهر

عمل في العام ١٩٤١ مذيعا في الإذاعة، إلا أن هذا العمل لم يستهويه ، فاتجه إلى الغناء والتلحين قدم الملحن سمير بغدادي في البدايات الاولى من حياته الفنية نفسه كمطربا فسجل بعض الاغاني بصوته ،وذلك تحت اسم سمير بغدادي في عدة اذاعات منها محطة الشرق الادنى وبعض الاذاعات الاهلية، وكان ذلك في نهاية الاربعينيات من القرن الماضي ، وقدم حفلات أسبوعية من الإذاعة العراقية، غنى فيها ألحانه الشهيرة مثل أغنية "شهرزاد" للشاعر عبد الرحمن الخميسي وتلحينه والذي كان يستخدم بها فرقتين كبيرتين فرقة الاذاعة الرسمية وفرقة اخوان الفن الأهلية ، وقد وزع السيد سمير بغدادي العزف بين الفرقتين حيث كان ذواقا ومقتدرا في التلحين والتوزيع الموسيقي وله صوتا جميلاً وكذلك أغنيته "خمرة الربيع" و" حبيبي ليش تنساني" و" المصطفى" وبعد ذلك أتجه الى التلحين وقدم عدة الحان الى مطربين ومطربات عربا وعراقيين.

لحن الراحل في لبنان لأصوات معروفة مثل نور الهدى وصباح ووديع الصافي ونجاح سلام وزكية حمدان ونصري شمس الدين ومحمد غازي وسواهم ، حيث لحن للمطرب اللبناني وديع الصافي اغنية (يا عصفور) وأغنية (غابت الشمس) ولحن الى المطربة صباح أغنيتين هما (بحياتك قلبي على نار) و(ليش بتزعل ليش بتغار) ولحن الى المطربة اللبنانية نجاح سلام أغنية (ألي ماعنده عاطفة) ولحن الى المطربة اللبنانية نور الهدى اغنية (الوجن) والى المطرب السوري محمد غازي كما لحن الى المطربتين سلامة والمطربة اللبنانية زكية حمدان ، ولحن الى المطربة اللبنانية نازك.

ولعل اكثر الالحان عمقاً وعبقاً ذلك الذي اداه المطرب ناظم الغزالي هو لحن (يامن لاعبت به شمول)وهو بالاصل لحن الموسيقار الملا عثمان الموصلي ولكنه أعده أعداداً جديداً وغناه الفنان الراحل ناظم الغزالي وكذلك غنى له لحن (وين الكه الضاع مني).

كما لحن الى المطربة عفيفة اسكندر ولحن للمطربة مائدة نزهت عدة اغان، والتي اصبحت فيما بعد زوجته حيث تزوجها سنة ١٩٥٨ ولحن لها عشرات الاغاني منها(تاليها وياك) والتي كتبت كلماتها الشاعرة أمل سامي زوجة الملحن علاء كامل، و(ياخوية ويا اغلى خي) من كلمات الشاعر اللبناني(زين شعبي)،(ورد الخدود) كلمات الشاعر اللبناني أنس أبي رافع ،و(دار ما دارج بحر) كلمات الشاعر الكويتي حميد الرجب.

وأثناء عملة مساعداً لمدير أذاعة الشرق الأدني والتي كان مقرها قبرص لحن العديد من الألحان للمطربين اللبنانيين ، حيث يذكر الموسيقار سالم حسين الامير والذي عاصر الفنان وديع خندة من خلال عملهما في الأذاعة العراقية ، في مقال منشور له على موقع الفنون الجميلة والمنشور بتاريخ ٢٠١٢/٠٣/٢١ بمناسبة رحيل الفنان وديع خنده حيث يقول : "ومن خلال اقامته هناك (ويقصد محطة أذاعة الشرق الأدنى) واختلاطه بالوسط الفني أمكنه من تلحين أغنية للمطربة صباح (وحياتك قلبي على نار) وللمطرب الكبير وديع الصافي اغنية (ياعصفور) وقد لاقت هذه الاغاني اعجاب الكثير من المستمعين «

وبعد عودته من بيروت في ستينيات القرن المنصرم عين مديرا لقسم الغناء والموسيقى في دائرة الاذاعة والتلفزيون وبحكم رئاسته للقسم فهو ايضاً رئيس لجنة فحص الأصوات والألحان فيها ، واستطاع حينها ان يضع شروطا صارمة لأختيار الاغنية كلاما واداء ولحنا، ولم يتساهل مع الاصوات الغنائية في عهده ولم يجيز اي صوت غنائي لا تتوافر فيه الشروط المطلوبة ، حيث يعتبر الملحن وديع خونده من ملحني الاغنية البغدادية، واحد فرسانها المهيئ اذ لعب دورا كبيراً في تطوير الاغنية البغدادية ومستوى الغناء العراقي الذي عمل خونداً صمامأ له من خلال أجازة الالحان والنصوص والمؤدين.

وفي معرض حديثه عن الأغنية العراقية، أشاد الفنان فؤاد سالم في مقابلة معه بدور الفنان بغدادي في تطويرها فقال " الأغنية العراقية وقفت عند السبعينيات فقط... في زماننا كان المطرب يُعصر ويمتحن أمام لجنة مؤلفة من عباقرة الفن في العراق ، كان يدير دفة الغناء في بغداد في مراقبة الموسيقي الأستاذ الكبير وديع خونده الذي خدم الأغنية العراقية بشكل جميل جدا من بداية الأربعينيات إلى نهاية السبعينيات».

تزوج وديع خونده من الفنانه انطوانيت اسكندر وهي ابنة الفنان عازف الكمان اسكندر زوج الفنانة القديرة عفيفة اسكندر ، في منتصف الخمسينيات اقترن بالمطربه الكبيرة مائده نزهت وقدم لها العديد من الالحان الجميلة واشهرها أغنية " أم الفستان الأحمر»

في أخر سنوات الثمانينات ذهب خندة مع زوجته الى حج بيت الله الحرام بعد ان قررت زوجته الأعتزال ، فأنصرفا الى العباده واعتزلا الحياة الفنية

توفى الفنان وديع خنده في ٢٢ /٣/ ٢٠١٢ في لندن ونقل جثمانه الى عمان ليدفن فيها. عن مركز الوتر السابع للفنون الموسيقية.

> ولد الفنان سمير بغدادي سنة ١٩٢٠ في محافظة الموصل من أصل كوردي وأسمه الحقيقي وديع خونده..

مائدة نزهت بين وديع خندة وملحني الاغنية البغدادية

وليد يوسف عطو

يقول الباحث والناقد الموسيقي علي عبد الامير في كتابه:

(رقصة الفستان الاحمر :سبعة عقود من تاريخ العراق المعاصر عبر الغناء والموسيقى)،بان المطربة مائدة نزهت كانت تمثل الطبقة الوسطى المدينية في حالة صعودها والتي نهضت ببناء العراق عبر المعرفة والثقافة والتقاليد المهنية الرصينة .

شكلت مائدة نزهت نسقين للاغنية العراقية ، الاول الجانب المديني ، اي اغنية المدينة ، او الاغنية البغدادية ،وهذا النسق نتاج خمسينات القرن الماضي ، والثاني مسار فني فوضوي يمثل هبوط وتجريف الطبقة الوسطى ، حيث اختلاط الانساق والبيئات الثقافية بطريقة فجة تحت شعارات (الثورية والوطنية والقومية)التي ميزت مرحلة ستينات وسبعينات القرن العشرين .

نجد في اغنيات مائدة نزهت الجراة والبوح بمشاعر الحب ،ولكن في اسلوب من التهذيب والرقة ، وهو جزء من ثقافة الطبقة الوسطى المدنية العراقية ،حيث كانت الطبقة الوسطى الحامل لقيم الحداثة قبل ان تحطمها الانقلابات العسكرية والحروب مقابل قيم التخلف التي تضخها المنظومة العشائرية والدينية .

مع اختطاف الدولة من قبل المغامرين العسكريين والحزبيين تراجعت قيم الحداثة ومنها الغناء العراقي ، الى الاسفاف في الاغنية ،فمن اغنية مائدة نزهت (يا ام الفستان الاحمر) الى (حياك يابو حلا)، ومن رصانة (ياحلو يازغير يامدلل) الى (عراق التاميم)وهي تجسد جناية الانقلابات العسكرية والافكار (الثورية)الشكل والمهجية المحتوى ليس على الدولة فقط ، بل على الطبقة الوسطى حارسة قيم الحداثة في المجتمع .

قام الملحن عباس جميل بتلحين اول اغنية للمطربة مائدة نزهت قبل ان تغني للاذاعة وهي (جاني من حسن مكتوب)من فيلم (دكتور حسن). بعدها غنت (ياكاتم الاسرار)واغنية (البصرة)،واغنية (يللي تريدون الهوى)التي كتب كلماتها اسماعيل الخطيب واغنية (يا اسمر) كلمات الشاعر عبد المجيد الملا ،واغنية (قالوا حلو)كلمات ابراهيم احمد، واغنية (اسال قلب اللي يهواك)كلمات ناصر التميمي .

انتقلت مائدة نزهت الى الالحان التركيبية عندما تزوجت الملحن وديع خندة (سمير بغدادي). لقد شكلت الحان وديع خندة انعطافة كبيرة في الاغنية العراقية الحديثة ببنائها اللحني . استطاعت مائدة نزهت ان تعبر عن مشاعر الملحن وكاتب كلمات اغانيها معا .

من هذه الاغاني (يا ام الفستان الاحمر)كلمات عبد المجيد الملا ، واغنية (احبك لا)كتبها اسماعيل الخطيب ،واغنية (تجونة لو نجيكم)كلمات رشيد حميد ، (واغنية تاليها وياك)كتبتها امل سامي ،واغنية (وينك)التي كتبها وديع خندة نفسه .

وهنالك مسار اخر في اغاني مائدة نزهت حفل بالتجديد والحداثة مثل اغنية (ياحلو يازغير يامدلل)، كلمات الفنان المبدع والشامل خزعل مهدي ، و (يا مسيرين البلم)كلمات حسن ترجمان ، و (محتارين)الداود الغنام واغنية (يكولولي توب واني اشلون اتوب)لمحمد حسن الكرخي ، و (ياحليوة عجايب)كلمات هلال عاصم والحان علاء كامل وغيرها من الاغاني .

بعد تحول العراق في ظل الانقلابات العسكرية الى التنكيل والمحاكمات والاغتيالات تقلصت مساحة الموسيقى والغناء حيث بدات موجة تقديس الزعماء والقادة . وجد الفنانون انفسهم بين خيارين ، اما الاندماج مع المرحلة الجديدة ، او الانكفاء على الذات ،وهو مايعرضهم لاسئلة السلطات ، مما اضطرهم الى الهجرة خارج العراق .

سافرت المطربة مائدة نزهت مع زوجها وديع خندة عام ١٩٦٢ الى بيروت . لحن لها زوجها وديع خندة (ياخوية ويا احلى خي)وغيرها من الاغاني . ولحن لها الملحن اللبناني عفيف رضوان . عاد الثنائي مائدة نزهت ووديع خندة الى العراق حيث شهد العراق انقلابا دمويا في ٨ شباط ١٩٦٣ ثم انقلابا اخر في نفس السنة في ١٨ تشرين الثاني ، مما اضطرهما الى العودة الى بيروت ثانية .

ساعدها الموسيقي الفلسطيني الاصل حليم الرومي والد المطربة الكبيرة ماجدة الرومي . اذ كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية .

وقد لحن لمائدة نزهت بعض الملحنين العرب منهم :حسن غندور ،عفيف رضوان، خالد ابو النصر وسعدون الراشد . كذلك لحن لها من الكويت عوض دوخي وحميد الرجب بعد ان سافرت الى الكويت فترة من الزمن.مع عودتهما الى بغداد بعد الانقلاب الثاني للبعث في عام ١٩٦٨ غادرت مائدة نزهت حالة الاشراق البغدادية الرقيقة شعرا وموسيقى واداء لصالح اغنيات وطنية وفق متطلبات المرحلة ، فغنت اغنيات وانا شيد مثل (قفوا هنا) كلمات عبدالسلام ابراهيم والحان وديع خندة وقصيدة (حبيبتي بغداد) للشاعر شفيق الكمالي ، واغنية (عراق التاميم) كلمات ناظم السماوي ولحنها ياسين الشيخلي ، و (شمس بغداد)لحنها محمد سلمان .

استطاعت مائدة نزهت اداء المقام العراقي باقتدار عالي ،لتكسر بذلك احتكار الرجال لهذا القالب الغنائي . يرى الناقد الموسيقي الراحل عبد الوهاب الشيخلي ان مائدة نزهت وجهت اهتمامها بهدوء ورصانة ونظرة مغايرة في الحياة والفن وكشفت في اغنياتها عن حالة حضارية في فنها حيث عبرت عن انتمائها الى روح المدينة وكرست لذلك امكاناتها ووعيها وادراكها .

لقد كانت حلقة مهمة في الغناء البغدادي وكذلك في المقامات العراقية التي ادتها واخر السبعينات .لقد برّت مائدة نزهت في اسلوبها الغنائي والفني كل المطربات العراقيات في القرن العشرين .يضيف الناقد عبد الوهاب الشيخلي ان الانعكاسات التعبيرية والادائية لدى مائدة نزهت عكست الخصوصية البغدادية والعراقية وهي خصوصية سابقة لاوانها الى حد مذهل .اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار موقفها الاخلاقي وانتمائها الى عراقيتها وبغداديتها وبيئتها المحلية .

اعتزلت المطربة مائدة نزهت الغناء في اواسط ثمانينات القرن العشرين . لقد اعتزلت وهي في قمة عطائها الفني واصبحت الساحة خالية من الاصوات النسائية . وتحولت تدريجيا وفق النسق السائد في المجتمعات العربية نحو السلفية الدينية هي وزوجها وديع خندة ، الذي يقول عنه البعض انه اصبح مؤذن قبيل وفاته .

بعد اكثر من عقدعلى قرار اعتزالها الغناء كانت مائدة نزهت تعيش في العاصمة الاردنية عمان في عزلة تامة مع زوجها وديع خندة ومعهما ابنتها .وكانت قد ذهبت الى حج بيت الله الحرام وانقطعت للعبادة ،وارتدت الحجاب . وتواصلا مع نهجها الجديد في الحياة طلبت من الاذاعة والتلفزيون في بغداد سحب اشرطتها الغنائية الصوتية والمرئية ، الا ان طلبها قوبل بالرفض ، كون اعمالها تمثل جزء من الذاكرة والهوية العراقية والارشيف الغنائي العراقي ، وهي ليست ملكا شخصيا للمطربة .

عن (الحوار المتمدن)

عائلة خندة البغدادية

طارق حرب

هي عائلة بغداديه منذ أربعة قرون ومنذ أن شاركت مع السلطان العثماني مراد الرابع في فتح بغداد سنة ١٦٣٨ بمشاركة جدهم الاول معروف العبادي وتقديراً لدورهم منحته الدوله العثمانيه لقب خونده أي العالم من العلم والى التاجر المعروف محمود خونده الذي أنتقل من محلة قنبر علي والمهديه في بغداد الى محلة الحيدر خانه والى ولده عبد الله محمود خونده الذي ترأس رئاسة تحرير جريدة زوراء العثمانيه التي أصدرها الوالي العثماني مدحت باشا في بغداد سنة ١٨٧٠ وقد تولى عبد الله محمود خونده المولود في محلة الحيدرخانه حيث برزت العائله في المجتمع البغدادي وقد درس عبدالله في المدارس العثمانيه وعين في مركز ولاية بغداد وفي مكتب الوالي العثماني لأجادته اللغات المطلوبه وقتها وهي العربيه والتركيه والفارسيه حيث تعين في قلم المكتوبجي حتى أصبح مديراً لهذا المكتب ورئيساً لديوان الوالي في بغداد وأكتسب شهرة وسمعه كبيره فنسب قائمقام لمدينة(عانه) اذ تولى انشاء الجامع الكبير فيها ثم عمل قائمقام في مندلي وسامراء ثم تولى منصب رئيس التحريرات في ديوان والي بغداد وبعد دخول الانكليز الى بغداد في سنة ١٩١٧م بعد أن تركت الاداره العثمانيه لبغداد فقد طلب منه الانكليز تسليم المكتب لهم وتوفي بعد ذلك أثر صدمه دماغيه وهو في سن ٥٨ من عمره وكان ضليعاً من اللغه العربيه والادب العربي لذلك تولى رئاسة تحرير جريدة(زوراء) العثمانيه الصادره ببغداد سنة ١٨٧٠ وأستمر كذلك حتى تعيين فهمي المدرس سنة ١٩١٢ وتولى القاء محاضرات في الادب العربي والتركي في مدرسة الاعدادي العثمانيه ببغداد ومن تلامذته من أصبح لهم شأن كبير في تاريخ بغداد والعراق ممن تولى المناصب العليا كرئيس وزراء وفي مجلسي النواب والاعيان ورجال سياسه منهم محمود صبحي الدفتري وحكمت سليمان وعارف السويدي وغيرهم وقد أنشأ في بيته مجلساً ثقافياً بغدادياً يلجه نخبة من الأدباء ووجهاء بغداد وله ثلاثة أولاد منهم سامي خونده والد وديع خونده زوج فنانة بغداد بلا منازع مائده نزهت وقد ولد سامي عبد الله خونده في بغداد سنة ١٩٠١ وألتحق بالمدرسه الحميديه العثمانيه ببغداد والتحق بعدها بالمدرسه الرشيديه العسكريه والتحق بعدهت بمدرسة الاعداد الملكي والتي تغير اسمها الى المدرسه السلطانيه وتخرج منها سنة ١٩١٦ وتخرج منها برتبة وكيل ضابط ثم رقي الى ملازم وعين بفوج المدفعيه الذي كان يقوده أحد الضباط الالمان ثم التحق بالفيلق العثماني السابع في مدينة حلب السوريه وفي تشرين الاول سنة ١٩١٧ أثناء الحرب العالميه الاولى نسب الى فلسطين حيث تعرض للأصابه فدخل مستشفى مدينة حيفا للعلاج ووقع في أسر القوات البريطانيه في شهر آب ١٩١٨عندما أحتلت هذه القوات مدينة حيفا ونقل مع الاسرى الى مصر ومكث هناك حتى سنة ١٩١٩ حيث أطلق سراحه وعاد الى بغداد وأشترك وفي المظاهرة التي حصلت سنة ١٩٢٢ من جمعية حرس الاستقلال وحزب العهد الوطني القى القبض عليه وتم نفيه الى جزيرة هنجام لكنه عاد سنة ١٩٢٣ بعد صدور العفو وأشتغل بالتعليم وتولى ادارة بعض المدارس في بغداد ثم عمل في وزارة التعليم ونقل بعدها الى وزارة العدل سنة ١٩٣٧ وأستمر بالعمل حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٨ وكان ممن يقال لهم رواد الحركه الوطنيه اذ يعتبر من رجال السياسه من جماعة جامع الحيدرخانه الذي جرت به النشاطات السياسيه في تلك الفتره ومن اولاده وديع زوج

الفنانه مائده ووديع خونده الذي سمى نفسه نفسه سمير بغدادي المولود ببغداد سنة ١٩٢٠ ومن ملحني بغداد الذين يشار لهم بالبنان وعمر كثيراً حتى سنة ٢٠١٢ حيث وفاته بعد اعتزاله وزوجته الفنانه مائدة نزهت قبل مدة ليست قليله ويعتبر وزوجته من رواد الاغنيه البغداديه حيث بدأ بالغناء ثم أنتقل الى التلحين فقد لحن لأغلب مطربي لبنان من وديع الصافي الى صباح الى نجاح سلام ونور الهدى ولحن في بغداد كثير من الاغنيات منها(يامن لعبت به الشمول ما ألطف هذه الشمائل) ولحن لعفيفه اسكندر ولحن لزوجته مطربة الاغنيه البغداديه مائده نزهت التي تزوجها سنة ١٩٥٨ وبقت على ذمته الى وفاته وعمل في الاذاعه العراقيه لفحص وامتحان من يتقدم للغناء وعمل في أمور فنية أخرى منها كمذيع وسبق ودخل كلية الحقوق لكنه تركها كذلك فأن له زواج سابق من السيده انطوانيت اسكندر وحسبه انه زوج سيدة الغناء البغدادي مائده نزهت.

وديع خندة (سمير بغدادي)

اسحق القومي

ولد الفنان وديع خندة المعروف بـ (سمير بغدادي) ببغداد العام ١٩٢٠ من أسرة عرفت بالعلم والأدب والسياسة. وبعد إكماله الدراسة الإعدادية دخل كلية الحقوق ولكنه لم يكمل الدراسة فيها لاتجاهه إلى الفن فعمل في العام ١٩٤١ مذيعا في الإذاعة، إلا أن هذا العمل لم يستهوه أيضا فاتجه إلى الغناء والتلحين وقدم حفلات أسبوعية من الإذاعة العراقية غنى فيها أنجاله الشهيرة "شهرزاد" و" خمرة الربيع" و" حبيبي ليش تنساني" و" المصطفى"، وعمل أكثر من مرة رئيسا لقسم الموسيقى في الإذاعة العراقية. سافر إلى لبنان ولحن هناك لأصوات معروفة مثل نور الهدى وصباح ووديع الصافي ونجاح سلام وزكية حمدان ونصري شمس الدين ومحمد غازي وسواهم. عمل زمنا مساعدا لرئيس قسم الموسيقى لإذاعة الشرق الأدنى التي كانت تبث برامجها من قبرص، وبعد عودته إلى بغداد، عين رئيسا لقسم الموسيقى، ولحن العديد من الأغاني للمطربة مائدة نزهت وعفيفة أسكندر وناظم الغزالي. ويعد من رواد الموسيقى العراقية .

ولحن وديع خندة الأغنية الإذاعية الأولى لناظم الغزالي التي دخل بها الإذاعة العراقية وكان مطلعها (وين ألكه الراح مني وأنا المضيع ذهب.. وراحت السلة من إيدي وراح وياها العنب) (٤٧) والأغنية الأولى " دانة ودان" للمطربة الأردنية نجوى سلطان التي تحقق حلمها من خلالها على الصعيد العربي حيث فازت بالمرتبة الأولى .

وفي معرض حديثه عن الأغنية العراقية أشاد فؤاد سالم في مقابلة معه بدور وديع خندة في تطويرها فقال "الأغنية العراقية وقفت عند السبعينات فقط... في زماننا كان المطرب يعصر ويمتحن أمام لجنة مؤلفة من عباقرة الفن في العراق ، كان يدير دفة الغناء في بغداد في مراقبة الموسيقي الأستاذ الكبير وديع خونده الذي خدم الأغنية العراقية بشكل جميل جدا من بداية الأربعينيات إلى نهاية السبعينيات. ومعظم المطربين العظام الذين اشتهروا على الساحة الفنية من أمثال ناظم الغزالي ورضا علي إلى فؤاد سالم وحسين نعمة وياس خضر وفاضل عواد كل هؤلاء تخرجوا من تحت يد وديع خونده، لأنه لم يكن يجامل أبدا. وأذكر في يوم من الأيام اتصل بي هاتفيا وقال لي: هناك أغنية تعال وسجلها. وكان الوقت ظهرا، فقلت له: الآن. قال: نعم الآن وفورا وسوف تجد الأستاذ (المرحوم) عباس جميل، اسمعْ منه الأغنية وأحفظها. الأغنية حملت عنوان (ثلاث نخلات) فحفظتها ودخلت الأستوديو وسجلتها في اليوم نفسه. عندما خرجت إلى الكنترول،وكان هو من يخرج لي أغانيي،سألتني المطربة الكبيرة مائدة نزهت، التي كانت متواجدة، قائلة:هل تعرف قصة هذه الأغنية؟ قلت: ما بها. قالت: أنا سجلتها. فأجبتها فورا:لماذا جعلتموني أسجلها إذن؟ فقالت: إن وديع خونده لم يقتنع بغنائي، وقال لي لنر فؤاد سالم كيف يغنيها؟ وعندما غنيتُ أنتَ قال لنا بعد التسجيل: سمعتموه كيف يغني اسمعوا جيدا! قالت مائدة نزهت: انه فضّلك علي، فتصور انه زوجها ولم يجاملها فلا هي زعلت منه ولا هو زعل منها وقال لها:لا تص.

ويتحدث كرم نعمة عن مثل هذه النزاهة الفنية التي كان يتميز بها الفنان فيقول:"ثمة حكاية تدم عن حس عال بالذائقة السمعية قرأتها يوما عن الفنان وديع خندة وتأكدت منها عند سؤاله شخصيا في لقاء معه بنقابة الفنانين العراقيين قبل سنوات.... اذ أصر الفنان الرائد على تنبيه شاب جاء إلي الاختبار أبان عقد الستينيات من القرن الماضي أمام لجنة موسيقية كان يترأسها خندة نفسه في دائرة التلفزيون لاكتشاف الأصوات بان خامته الصوتية لا تصلح أصلا للغناء وأنه عندما يغني يسيء إلي الذائقة العامة وهي جريمة لا تختلف عن جريمة سطو أو سرقة وعليه أن يترك هذا المجال كي لايحاسبه القانون علي تشويه ذائقة الناس!."

وثمة حكاية عن الفنان خندة أطرف وأقوى من ذلك كله رواها جميل مشاري علي صفحات جريدة " المدى" البغدادية كالتالي: "كان مدير الاذاعة آنذاك حسين الرحال ،ووجد أن الحاجة تدعو إلى استحداث قسم للتنسيق ، فعين الفنان وديع خونده رئيساً لهذا القسم لكونه قام بواجبه في التنسيق بين فعاليات الفرقة الكبيرة التي قامت بالترفيه عن الجيش العراقي في فلسطين، وبدأ وديع خونده العمل بتنسيق الاسطوانات الغنائية التجارية الموجودة في الاذاعة في المنهاج اليومي .وحدثنا المذيع الراحل الأستاذ حافظالقباني عن حكاية طريفة حدثت في احد الايام من ذلك العام فيقول : كنت مذيعاً في فترة المساء فتسلمنا نداء هاتفياً تكلم معنا صاحبه بطريقة الأمر طالباً أن نضع أغنية تركية لإحدى المطربات الشهيرات التركيات، وعندما سألت : من المتكلم رجاء؟. اخبرني انه رئيس الوزراء ارشد العمري. فأجبته بأننا سوف نذيع الأغنية تلبية لطلبك. واخبرت رئيس قسم التنسيق الجديد بذلك ،الذي أصرّ على عدم تلبية الطلب لأن الأغنية المطلوبة ليست مدرجة في المنهج اليومي .. فسكتنا، ثم رن جرس الهاتف بعد ربع ساعة فإذا بالمتكلم نفسه رئيس الوزراء يستفسر عن الشخص الممتنع عن تلبية طلبه ، فأخبرته باسمه، وهنا سأل عن مدير الاذاعة حسين الرحال وعن هاتفه ، فأخبرناه بأنه أوصانا أن نحول المكالمات الخاصة به إلى نادي المحامين فشكرنا رئيس الوزراء وبعد قليل اتصل بنا المدير وقال :قدموا الأغنية التركية التي طلبها رئيس الوزراء واخبروا رئيس قسم التنسيق الذي مازال تحت التجربة ان يترك قسم التنسيق وان يغادر الاذاعة ولا يفكر بالعودة إليها.

عن موقع (الثقافة السريانية)

وديع خندة رائد الاغنية البغدادية

حسين الاعظمي

منذ أن إلتقيتُ بالفنان الكبير الاستاذ وديع خندة -سمير بغدادي- لاول مرة عشية دخولي الاول الى دار الاذاعة والتلفزيون العراقية مطلع سبعينات القرن العشرين، وحتى ما اعلن عن وفاته قبل سنوات قليلة رحمه الله، صادف ان ألتقيه كثيرا..! سواء في الاذاعة او التلفزيون او في المناسبات الفنية والاحتفالات وغيرها الكثير. ولعل اكثرها عندما كان غالبا ما يوصل زوجته الفنانة الكبيرة مائدة نزهت الى دوام فرقتنا – فرقة التراث الموسيقي العراقي- شبه اليومي، ويبقى معنا لحين انتهاء الدوام، وكذلك يأت عند اقامة حفلاتنا داخل بلدنا العراق، وهكذا امسى اعضاء فرقتنا على علاقة جيدة جدا ومتواصلة من خلال ظروف تعدد لقاءاتنا!..

ونحن في عمّان، دُعيتُ انا وبعض الاصدقاء من قبل اخي وصديقي العزيز يقظان الجادرجي على العشاء في بيته، والاصدقاء هم رجل الاعمال اخي عامر عبود والصحفي اخي قصي الطائي والاعلامي اخي د.حميد عبد الله والاعلامي اخي محمد السيد محسن. وقد كانت امسية جميلة قضيناها في سهرة هذه الليلة التي صادفت مساء ١٠ ايلول ٢٠١٩. ومن الطبيعي ان تدور مواضيع كثيرة للحديث بها خلال زمن السهرة، واود هنا ان اذكر واحدا من هذه الاحاديث الذي أثار جدلا طويلاً، وكان حول الفنان الراحل وديع خندة. والسؤال الذي دار بيننا واخذ منّا وقتاً طويلا من سهرتنا، بحيث اتصلنا ببعض الاصدقاء ممن يعرف الفنان وديع خندة، والسؤال هو. هل وديع خندة مسلم ام مسيحي..؟ واخيرا لم نصل الى قرار اخير، وظلت الآراء متباينة فيما بيننا. وانا بدوري اطرحها عليكم اعزائي القراء منذ له معرفة او رأي في الموضوع فليحاول افادتنا به للفائدة التاريخية مع الشكر والتقدير.

في يوم الاحد ٣ مايس ١٩٩٢. حيث كنت في اول عام دراسي أدرّس فيه بقسم الموسيقى بكلية الفنون الجميلة. استضاف قسمنا –قسم الفنون الموسيقية- الفنان الكبير وديع خندة ليطلع الحضور من الاساتذة والطلبة عن تجربة وسيرة حياته الفنية. وقد ادار هذه المحاضرة الدكتور الراحل خالد ابراهيم عبد الله. وخلال هذه المحاضرة مسكتُ ورقة وقلماً ودوّنتُ بعض الاقوال والتواريخ التي وردت في حكاية تجربته الفنية ومنها.

اولا: القصة طويلة..! انا من عائلة معروفة في بغداد وفي العراق عموما، لم يكن منتظرا ان يخرج منها فنانا وخاصة على المستوى الاعلامي!..

ثانيا: بيتنا بيت كبير، وعمي (سامي خندة) كان من اوائل الصحفيين في العراق، ومن اوائل رجال الترفيه. ومن جماعة جريدة الرافدان. كانت هناك مجالس ثقافية كثيرة، وحبزبوز (نوري ثابت) اول كاتب سياسي فكاهي، وملا عبود الكرخي هو صاحب جريدة الكرخ. وحبزبوز والحاج محمود عبد الوهاب كانا ايضا من رجال التربية، ومعروف الرصافي كان جاراً لنا. ومثل هؤلاء وغيرهم كانت المجالس البغدادية الثقافية والفنية تعج بهم، وكنت احضرها وانا صغير واستمع اليهم في عزفهم وغنائهم وثقافتهم الادبية والفنية. بدأتُ احب الفن وانا لا اعرف ان هذا فن..! لكن الفن هو زيادة في الاخلاق سبحانه وتعالى. يولد الانسان وهو خالي من اي شيء، وبعدها ربما ينشأ نظيفا او ينشأ قذرا..! لابد للفنان ان يكون على خلق رفيع لانه اكثر ارتباطا بالمجتمع، ولابد ان يلم ببعض الثقافات الاخرى غير الموسيقى او غير اختصاصه. سبحانه وتعالى عندما اراد ان يمدح محمد صلى الله عليه وسلم، قال (وانك لعلى خلق عظيم).

ثالثا: انني دائما اؤكد على موضوع الثقافة في كل المقابلات الصحفية وغيرها، لان الفنان مهما كان جيد في مادته الفنية، فهي لاتكفي..! لوجود هناك احتياجات اخرى يحتاجها الفن ومطلوب من الفنان ان يلم بها مع فنه.

رابعا: مستشرق فرنسي وصل بغداد، وقال في لقاء معه، انني افهم باللغة العربية اكثر من ابنائها..! فدعاه احد علماء بغداد واتفقا على موعد ومكان للمقابلة، سأله العالم العراقي ماهو الفرق بين قعد وجلس..؟ وميّت وميْت..؟ فاجاب المستشرق بأن القعود من الوقوف، والجلوس من النوم. والميّت هو الذي بلا حياة، والميْت هو الذي شيموت. وسؤال آخر من العالم، هل قرأت القرآن..؟ قال نعم، وهل فهمته..؟ قال نعم. فقال العالم للمستشرق، كذبت، فساله المستشرق، لماذا..؟ اجاب العالم، لانك لو قرأت القرآن وفهمته لكنت مسلما الان!..

خامساً: وينتقل الفنان وديع خندة الى ألحان واغاني اليوم، اذ يقول، من المؤسف ان الالحان الحالية هي ليست ألحان، وخطورتها ان الاطفال يسمعوها..! وهكذا فإن طريق الفن هو اصعب الطرق في الحياة. فمثلما تقرأ وتتثقف ينبغي عليك ان تسمع الجيد. الثقافة اذن شيء مهم واساسي في طريق الفن، والدراسة العلمية للفن مهمة للغاية، واهلي حاربوني وكسروا عودي او اكثر من عود وانا اشتري عودا تلو العود واصعد فوق سطح بيتنا في الحر والبرد واعزف حتى تعلمت العزف على السماع!..

سادسا: في جانب آخر انتقد المطربة زهور حسين والمطرب يوسف عمر لتطويلهما في الغناء على المسرح حتى تنزل ستارة المسرح عليهما!..

وهناك الكثير مما يمكن الاستمرار بطرح ما تحدث به الفنان وديع خندة في محاضرته هذه، ولابد لي اعزائي القراء الكرام ان اتوقف عن هذا السرد التاريخي على لسان الفنان وديع خندة نفسه والى مناسبة اخرى يتاح لنا المجال بصورة اوسع باذن الله تعاى.

أخيرا أعود معكم اعزائي الى سهرتنا في بيت الاستاذ يقظان الجادرجي والجدال الذي حصل بين الجميع حول ديانة الفنان وديع خندة اهو مسلم ام مسيحي..؟

واقع الحال، في اليوم التالي اتصلت باخي العزيز وصديقي العتيد الاستاذ الحاج غازي فيصل المذيع الشهير في تلفزيون الجمهورية العراقية منذ زمن بعيد. وسألته عن موضوع المرحوم وديع خندة، فقال لي سأكتب لك رسالة غدا ان شاء الله. وفعلا وصلتني رسالة الكترونية منه في اليوم التالي اليكم نصها اعزائي القراء الكرام.

(رسالة الحاج غازي فيصل مذيع تلفزيون الجمهورية العراقية المخضرم.

الحبيب الغالي والدكتور العزيز حسين الاعظمي رعاك الله

قبلاتي واشواقي

ارجو التفضل بالاطلاع على ما ياتي:

اولا: تعذر عليّ الاتصال بالدكتور اياد وديع خندة وكان الرد طوال هذه الايام (مغلق او غير متاح.(

ثانيا: لم اجد مصدرا واحدا يؤكد ان المرحوم وديع مسيحي الديانة.

ثالثا: نشر الاستاذ المرحوم سالم حسين كلمة تابينية في وفاة خندة قال فيها. (انه من عائلة عراقية محافظة) وكلمة محافظة غالبا ما تلازم العوائل المسلمة.

رابعا: كلمة (خندة او أخوند) تعني باللغتين التركمانية والفارسية (السيد العالم) وكانت التسمية تطلق في العراق على من بلغ مرتبة دينية معتبرة، فيقال له (أخوند او أخوندي) باللهجة المحلية، ولذا فعائلة (خندة) كانت تعرف بالتدين.

خامسا: حكى لي المرحوم حافظ القباني، انه لما اتجه خندة الى الفن غيّر اسمه الى (سمير بغدادي) دفعا لغضب عائلته المسلمة، وانتم اعلم انها لو كانت مسيحية لما اثار غضبها ولما قاطعته عندما اكتُشف امره بعد حين. وانا شخصيا وجدته متصفا بصفات الاسلام حتى انه يستشهد احيانا بالآيات والاحاديث النبوية دعما لقواعد اللغة العربية عندما كان يزور قسم المذيعين المجاور لاستوديو الموسيقى.

سادسا: هناك عائلة يبدو انها امتداد لعائلة (خندة) وتحمل الاسم نفسه في بانياس بمحافظة طرطوس السورية وتسكن قرية (بيت واصل)

سابعا: عكف في السنوات الاخيرة من حياته كما تعلمون في المساجد تعبدا حتى بشكل غالى فيه رحمه الله.

هذا ما وددت عرضه والقناعة لكم ودمتم

وديع حونده ومائدة نزهت .. والفن الراقي

قصي الفرضي

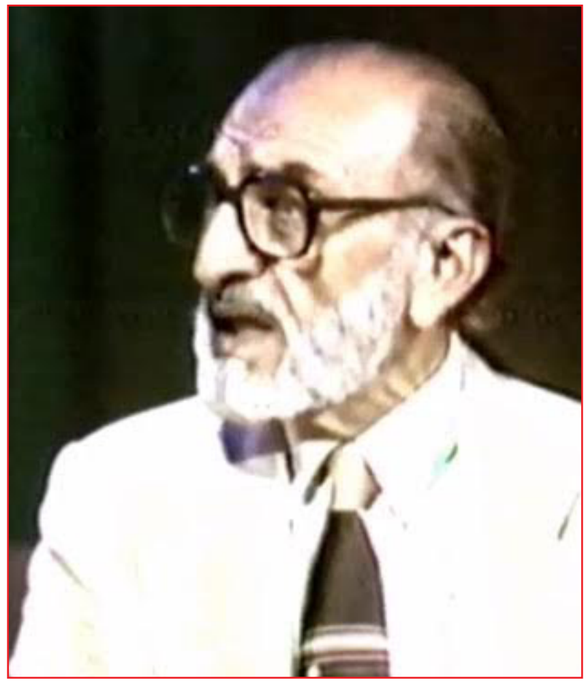

لفترة قصيرة ابتعدت فيها مائدة نزهت عن الاذاعة والوسط الفني برمته بسبب بعض المشاكل التي جابهتها من قبل بعض الفنيين والاداريين في اعتراضها لعدم اذاعة اغانيها وكان ذلك عام ١٩٥٥ وهي لم تزل في بداياتها.. واستمرت الحالة حتى عام ١٩٥٧ بعد ان عاد الفنان وديع خندة من غربته وعمله في اذاعة الشرق الادنى الناطقة باللغة العربية في قبرص وبيروت، وهو الفنان الذي اصبح اول رئيس لقسم الموسيقى في الاذاعة عند تاسيسه منتصف الاربعينيات بجهود منه وقرار من مدير الاذاعة زمنذاك المرحوم حسين الرحال.. وعن طريق الملحن احمد الخليل تعرف على مائدة نزهت حيث ذهبا معا الى اهلها لاقناعها واقناعهم بالعودة الى الغناء بعد ان اقتنع الفنان وديع خندة بصوتها فقد اسمعه احمد الخليل اغنية (اصيحن اه والتوبة) باستوديو الاذاعة.. وفي هذه الزيارة تمت تسوية الامر وعادت مائدة الى الوسط الفني والاذاعة لتواصل نشاطها الغنائي.. لتبدا مرحلة جديدة من مسيرتها الفنية .

وعن هذه الحقبة يقول الملحن المرحوم عباس جميل في لقاء له قمت بتلحين اول اغنية لمائدة نزهت قبل ان تغني للاذاعة هي (جاني من حسن مكتوب) ضمن فلم دكتور حسن ربما كانت طريقها للاذاعة ، بعدها غنت من الحاني يا كاتم الاسرار باستوديو الاذاعة ... لقد جلب وديع خندة معه الى بغداد عام ١٩٥٧ خبرة لرؤية فكريه وجمالية عاشها في قبرص مذيعا في اذاعة الشرق الادنى الناطقة بالعربية. وكان بفطرته ذا رؤية ثاقبة في كل موهبة فنية بما في ذلك موهبته.. فمضى يكتشف ما تنطوي عليه تلك الموهبة بالنسبة اليه في جد وانتظام.. وبدأ عطاؤه الجديد الى الاجيال الجديدة بالحانة وملاحظاته وادارته لقسم الموسيقى وفسح المجال للقابليات الموهوبة الاخرى لتبدو النتاجات واضحة..

اما الانسنة مائدة نزهت وهي المطربة الجديدة فقد كان حظها اوفر من الجميع في مسيرتها الفنية حيث كان الثامن عشر من ادار عام ١٩٥٨ موعدا لزواجها بهذا الفنان الموهوب وديع خندة بعد قصة حب جميلة، وبذلك بدات مائدة نزهت مرحلة جديدة وجديدة في مسيرتها الفنية. ومن هذا التاريخ ايضا نلاحظ ان نشاط مائدة نزهت الفني قد بدا يستقر بصورة تدريجية. واصبح اقل من السابق، ولكنه اصبح نتاجا اكثر اتزانا ورصانة فحفلاتها الخاصة قد انعدمت او شبه ذلك ونشاطها الانتاجي امسى اكثر دقة وانتظاما.

تعتبر الالحان التي لحنها الفنان وديع خندة لمائدة نزهت قبل وبعد زواجه منها بقليل انعطاف جديد في مسار الاغنية الحديثة في بنائها اللحني من حيث تنوع الكوبليهات مع المذهب، وهو يبين لنا ايضا خلجات كتّاب الاغاني هذه، وهكذا كانت مائدة نزهت سيدة الموقف في حصيلة النتائج التي استطاعت ان تعبر عن مشاعر الملحن والكاتب معا، وهكذا كان الاتفاق التعبيري لمجموعهم.. ومن هذه الاغاني مثلا اغنية يم الفستان الاحمر التي كتب كلماتها الشاعر عبد المجيد الملا واغنية – احبك لا – التي كتبها اسماعيل الخطيب واغنية تجونة لو نجيكم من كلمات رشيد حميد واغنية تاليها ويك التي كتبتها امل سامي واغنية نسمات روميا وسامبا بغداد التي كتبها حسن نعمة العبيدي واغنية وينك التي كتبها وديع خندة نفسه

يروي الفنان حسين الاعظمي : وفي صدد اغنية – تاليهه ويك – اذكر اني كنت مرة خلال الدوام الوظيفي اليومي لفرقتنا ونحن نتمرن على بعض الاعمال الغنائية المقامية وابداء بعض الملاحظات المقامية للفنانة مائدة نزهت وقد كنا في حضرة مقام الحكيمي وهو من سلم مقام الهزام .. وفي هذه الاثناء مال حديثنا الى اغنية – تاليهه ويك- وهي من نفس السلم حتى اخذت تغني ببعض مقاطعها التي ابديت اعجابي ببنائها الموسيقي وادائها المتقن الجميل فسألتها عن ظروف هذه الاغنية ... فكانت ان اجابت بصراحة وجراءة فقالت (في هذه الفترة كنت على علاقة حب طاهر نقي مع الفنان وديع خونده عام ١٩٥٧)، وكان ذلك قبل زواجنا طبعا ، كنت كمراهقة غرة ، لا يهمها كتمان مشاعرها وكان قد لحن لي هذه الاغنية فعند تسجيلها في ستوديو الاذاعة كان وديع موجود في كونترول الاستوديو جالساً مع المخرج وكنت انا في ذروة مزاجي الغنائي ومشاعري الجياشة مما جعلني اغني بكل الصدق والجودة فكان ان نجحت هذه الاغنية نجاحاً كبيراً ليس فقط لجمالها بل لمستواها الراقي في الكلمات والبناء اللحني والاداء الغنائي . وبذلك يمكننا ان نقول من جانب اخر ان هذه الاغنية سجلت قبل عام ١٩٥٨ وهو عام زواجهما .

في خضم الاحداث التي كان يعج بها العراق اواخر العقد الخمسيني وبداية العقد الستيني وبسبب مضايقات معينة، سافرت مائدة نزهت مع زوجها وديع خندة عام ١٩٦٢ الى بيروت ، وهي المرة الاولى التي تسافر فيها خارج العراق، وفي بيروت بدات مرحلة جديدة من مسيرتها الفنية فقد كان زوجها على علاقة ببعض الصداقات مع الفنانين اللبنانيين والعرب منذ ان عمل في اذاعة الشرق الادنى . مثل عبد الحليم حافظ بواسطة محمد عبد المطلب الذي كان صديق وديع خندة في بغداد وتعرفت على اعضاء الفرقة الماسية وهدى سلطان ولبلبة ونجاح سلام وصباح ووديع الصافي ونصري شمس الدين وغيرهم . وفي هذه الفترة من اقامتهم في بيروت لحن لها زوجها اغنية يا خوية ويا احلى خي التي كتب كلماتها زين شعبي

في هذه الاثناء وبعد تحسن وضعهما واستقرارهما ، قاما بسفرة سياحية الى اوربا عادا بعدها الى ارض الوطن عام ١٩٦٣ ثم اضطرا للعودة الى بيروت ثانية وبقيا هناك ، وفي عام ١٩٦٤ انجبت مائدة ابنها البكر اياد وبعد ذلك باشرا مرة اخرى نشاطهما الفني وقد ذهبا الى سوريا التي فتحت ابوابها لهما ، ولكنهما بقيا في دوامة من الذهاب والاياب بين سوريا ولبنان ، ونشاطهما الفني مستمر وقد ساعدهما الفنان الكبير الفلسطيني الاصل حليم الرومي حيث كان مسؤولا عن الموسيقى في الاذاعة اللبنانية ، وقد لحن لها بعض الفنانين العرب منهم حسن عفدور وعفيف رضوان وخالد ابو النصر وسعدون الراشد والكويتيان عوض دوخي وحميد الرجب بعد ان سافرت الى الكويت لفترة معينة .

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:
www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ذكريات مع ملحنيين عراقيين

محسن حسين

اتيح لي بعد بدء عملي في الصحافة عام ١٩٥٦ ان التقي بعدد كبير من الفنانين قبل ان انتقل الى السياسيين وكان العديد منهم يزوروني في مكتبي وقد سبق أن ذكرت زيارات الممثلة زينب والمطربين ناظم الغزالي ويوسف عمر وعبد الرحمن خضر و جواد وادي وعبد الواحد جمعة و الفنان الكبير يوسف العاني وقد اجد الفرصة لنشر ما يتعلق باخرين تعرفت عليهم خلال العمل الصحفي.

اليوم استعيد تلك الزيارة التي قام بها ثلاثة من الفنانين المشهورين هم كما في الصورة من اليمين سلمان شكر ثم علاء كامل وانا وإلى يسار الصورة وديع خونده (سمير بغدادي).

التقطت الصورة عام ١٩٥٧ خلال زيارتهم لي في مكتبي البسيط المتواضع في جريدة الشعب خلال العهد الملكي.

كنت حينذاك اكتب تحقيقات واخبارا عن الفن ولي علاقات واسعة مع المذيعين والممثلين والمخرجين والملحنين والمطربين وكل من يعمل في اذاعة بغداد والتلفزيون الذي بدأ بثه قبل التقاط هذه الصورة بعام واحد.

سلمان شكر

سلمان شكر كما عرفته واحد من ابرز اساتذة العود في العراق وكان استاذ العود في معهد الفنون الجميلة لمدة ٣٠ عاما تخرج على يديه خيرة عازفي العود في العراق وله مؤلفات موسيقية عديدة عُيّن مستشاراً في وزارة الثقافة والإعلام لسنوات عدة.

توفي سلمان شكر المولود عام ١٩٢١ عن عمر يناهز السادسة والثمانين، بعد صراع طويل مع المرض، وكان يعاني من فقر مدقع.

علاء كامل

اما علاء كامل فقد ولد سنة ١٩٢٢ في البصرة وهو يعد أحد ملحني الاغنية البغدادية ومن أركانها وقد لا يعرف البعض ان اسم علاء كامل الحقيقي (علي عبد الرزاق حسن) وهو شقيق زميلنا الصحفي المرحوم ضياء عبد الرزاق حسن.

عندما عرفته كان يعمل في مطار بغداد في مجال الطيران المدني. لكنه تعلق بالموسيقى والغناء،فدخل معهد الفنون الجميلة وتخرج فيه في الأربعينيات وتولى في الخمسينات رئاسة قسم الموسيقى في الاذاعة والتلفزيون واشترك في تأسيس المجمع الموسيقي العربي وأصبح علاء كامل أول مدير لهذا المعهد. كما ترأس جمعية الموسيقيين العراقيين لعدة سنوات. لحن لعدد كبير من المطربين والمطربات أغنيات أشهرها أغنية عفيفة اسكندر (ياعاقد الحاجبين) ومائدة نزهت (خلهم يكلون) و (يام الفستان الاحمر)

وديع خونده

اما وديع خونده المعروف ب(سمير بغدادي) فهو من مواليد بغداد ١٩٢٠ دخل كلية الحقوق ولكنه لم يكمل الدراسة فيها، لاتجاهه إلى الفن فعمل في العام ١٩٤١ مذيعا في الإذاعة، إلا أنه ترك هذا العمل فاتجه إلى الغناء والتلحين وقدم حفلات أسبوعية من الإذاعة العراقية، غنى فيها ألحانه الشهيرة "شهرزاد" و" خمرة الربيع" و" حبيبي ليش تنساني" وعمل أكثر من مرة رئيسا لقسم الموسيقى في الإذاعة العراقية. لحن وديع خونده في لبنان لأصوات معروفة مثل نور الهدى وصباح ووديع الصافي ونجاح سلام و زكية حمدان ونصري شمس الدين ومحمد غازي وسواهم. وعمل زمنا مساعدا لرئيس قسم الموسيقى لإذاعة الشرق الأدنى التي كانت تبث برامجها من قبرص، وبعد عودته إلى بغداد، عين رئيسا لقسم الموسيقى، ولحن العديد من الأغاني للمطربة مائدة نزهت وعفيفة اسكندر وناظم الغزالي. تزوج وديع خونده من الفنانة انطوانيت اسكندر وهي ابنة الفنان عازف الكمان اسطيفان اسكندر زوج الفنانة عفيفة اسكندر وفي الخمسينيات اقترن بالمطربه مائده نزهت وقدم لها ألحانا جميلة.

منير بشير

وعلى ما اذكر كان الهدف من زيارة هؤلاء الفنانين انتقاد الفنان منير بشير الذي اشتهر في تلك الفترة عازفا مجددا للعود في تلفزيون العراق بعد تأسيسه عام ١٩٥٦، الى ان اصبح رئيساً لفرقته الموسيقية ومخرجاً موسيقياً، ومن بعد رئيساً لقسم الموسيقى. وللتاريخ اذكر ان منير بشير المولد عام ١٩٢٨ توفي في٢٨ أيلول، ١٩٩٧ وبالاضافة الى دراسته الموسيقى في معهد الفنون الجميلة فقد سافر إلى هنغاريا في عام ١٩٦٢ حيث درس علوم الموسيقى المقارنة (Comparative Musicology) وحاصل على درجة الدكتوراه. ويعد منير بشير من أهم عازفي العود في القرن العشرين وقد بذل جهده للخروج بآلة العود من استعمالها في مصاحبة الغناء الى الفضاء العالمي وصار أسلوبه واضحاً في عزف معظم عازفي العود المحدثين العرب ونجح في تطوير أسلوب التقسيم التقليدي (كما كان يقول) وهذا ما جعل عددا من الموسيقيين ومنهم زواري في ذلك اليوم ينتقدون منير بشير ويعدون ما يقوم به إخلالا بالمفهوم التقليدي للعود كآلة عربية.

وبعد نشر تلك الانتقادات اتصل بي منير بشير ورد على منتقديه موضحا وجهة نظره دون المساس بالمنتقدين. من الناحية الشخصية عرفت منير بشير صديقا وكنا نلتقي كثيرا واذكر انه طلب ان يحضر احدى جلسات محكمة الشعب التي يراسها فاضل عباس المهداوي فصحبته الى هناك حيث احضر الجلسات بحكم عملي الصحفي والتقينا بالمهداوي ثم خرجنا جميعا بعد الجلسة ووقفنا خارج مبنى المحكمة حيث التقط لنا المصور صورة كنا نضحك لنكتة القاها المهداوي باسلوبه المعروف. وفي السنوات الاخيرة من حياته عندما كان مستشارا في وزارة الإعلام كنت ازوره في مكتبه في احد الطوابق العلوية من المبنى الذي يضم ايضا مجلة الف باء التي كنت أعمل فيها وفي تلك الفترة أهداني مجموعة من الاسطوانات صدرت في فرنسا على ما اعتقد تضم معزوفاته الرائعة.

منير بشير وسلمان شكر وعلاء كامل وسمير بغدادي وغيرهم خدموا الوطن في مجالات تخصصهم وسجلوا اسماءهم في سجلات المبدعين.

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون